

## الأطفال

بابا وماما والعممة نادية غائبون عن البيت . لقد رحلوا لحفل التعميد عند ذلك الضابط العجوز الذى يركب فرسا رمادية صغيرة . وفى انتظار عودتهم جلس جريشا وآنيا واليوشا وسونيا وابن الطاهية أندريه فى غرفة الطعام حول طاولة الطعام يلعبون اللوتو . وفى الحقيقة كان من المفروض أن يناموا منذ وقت طويل ، ولكن هل يمكن أن يناموا دون أن يسمعوا من ماما كيف كان الطفل الذى عمدوه ، وما الذى قدم فى العشاء؟ والطاولة التى يضيؤها مصباح معلق ، حافلة بالأرقام وقشر الجوز وبقطع الورق والمربعات الزجاجية . وأمام كل لاعب بطاقتان وكمية من المربعات لسد خانات الأرقام . وفى وسط الطاولة طبق أبيض به خمس قطع معدنية من فئة الكوبيك . وبجوار الطبق بقايا تفاحة ومقص وطبق كبير صدرت الأوامر بوضع قشر الجوز فيه . والأطفال يلعبون على النقود . الرهان : كوبيك واحد . والشرط : إذا غش أحد فى اللعب يطرد فوراً . وليس هناك فى غرفة الطعام أحد غير اللاعبين . فالمرربة أجافيا إيفانوفنا تجلس فى الطابق الأسفل ، فى المطبخ ، وتعلم الطاهية التفصيل . أما الأخ الأكبر فاسيا ، التلميذ بالصف الخامس فيستلقى على الكنبه فى غرفة الجلوس ويضجر .

يلعبون بحماسة . وترسم الحماسة أكثر ما ترسم على وجه جريشا . وهو صبى صغير ، فى التاسعة من عمره ، برأس محلوّق الشعر تماماً ، وخدين منتفخين وشفتين غليظتين كشفاه الزنوج ، وقد التحق بالدراسة فى

الصف الإعدادى ، ولهذا يعتبرونه كبيرا وأذكى الجميع . وهو يلعب من أجل النقود فقط . ولولا الكوبيكات الموضوعة فى الطبقة لكان قد نام منذ زمن بعيد . عيونه العسلىة تركض بقلق وغيره فوق بطاقات شركائه فى اللعب . والخوف من احتمال الخسارة ، والغيرة ، والاعتبارات المالية التى تملاً رأسه الحليق ، لا تدع له مجالاً للجلوس فى هدوء وللتركز . فهو يتململ فى مجلسه كأنه على جمر . وعندما يكسب يقبض على النقود بجشع ويدسها فى جيبه على الفور . وشقيقته أنيا ، ذات الثمانية أعوام ، والذقن الحاد والعينين الذكيتين اللامعتين ، تخشى هى الأخرى من أن يكسب أحد غيرها . إنها تراقب اللاعبين بيقظة وتارة تتخرج بالحمرة وتارة تشحب . ولكن ليس ما يهملها هو النقود . بل إن التوفيق فى اللعب هو بالنسبة لها مسألة كرامة . أما الشقيقة الأخرى سونيا ، ذات الأعوام الستة والرأس الصغير المجعد الخصلات ، والبشرة ذات اللون الذى لا تراه إلا على وجوه الأطفال الأصحاء للغاية أو الدمى الغالية أو علب الحلويات ، فتلعب من أجل عملية اللعب ذاتها . ويطفح وجهها بالتأثر والرضى . وأيا كان الرابع فهى تفهقه وتصفق بنفس الدرجة . أما أليوشا ، الصبى الصغير المكتنز المستدير الجسم ، فيشخر ويلهث ويحملك بعينين جاحظتين فى البطاقات . وليس لديه أى غرض أو كرامة . يكفيه أنهم لا يطردونه من مائدة اللعب ولا يجبرونه على النوم . ويبدو من مظهره الخارجى أنه فاتر عديم المبالاة ، لكنه فى قرارة نفسه شيطان مكرر . وقد اشترك فى اللعب لا حبا فيه بقدر ما هو من أجل المشاحنات الحتمية التى تحدث فى مجرى اللعب . وهو يشعر بفرحة طاغية عندما يضرب أحدهم شخصا ما أو يسبه . ومنذ فترة طويلة وهو يريد أن يقضى حاجته ، ولكنه لا يترك الطاولة لحظة واحدة خشية أن يسرقوا مربعاته وكوبيكاته فى غيابه . ولما كان لا يعرف سوى أرقام الآحاد والأعداد التى تنتهى بالصففر ، فإن شقيقته أنيا تقوم بدلا منه بسد الخانات بالمربعات . أما اللاعب الخامس ، ابن الطاهية أندريه ، الصبى الأسود الشعر المريض الهيئة ، الذى يرتدى قميصا من الشيت ويعلق

على صدره صليبا نحاسيا، فيقف جامدا ويحدق فى الأرقام حالما . وهو ينظر إلى المكسب وإلى فوز الآخرين بلا اكتراث، إذ إنه غارق كلية فى حسابات اللعبة وفى فلسفتها البسيطة : فما أكثر الأرقام المختلفة فى هذه الدنيا، وكيف لا تختلط !

ويتناوب اللاعبون إعلان الأرقام ما عدا سونيا وأليوشا . ونظرا لرتابة الأرقام فقد أوجدت الممارسة مصطلحات ومسميات مضحكة كثيرة لها . فمثلا رقم سبعة يسميه اللاعبون «البشكور»، ورقم أحد عشر «العصاتان» ورقم سبعة وسبعون «سميون سميونيتش» ورقم تسعون «جدو» . الخ . . ويسير اللعب بنشاط .

- اثنان وثلاثون! - يصيح جريشا وهو يخرج من قبعة الأب الأسطوانات الخشبية الصفراء ذات الأرقام - سبعة عشر! بشكور! ثمانية وعشرون - ماذا تفعلون!

وترى أنيا أن أندريه قد فاته أن يسد خانة الرقم ثمانية وعشرين، ولو كان الوضع مختلفا لنبهته حتما إلى ذلك . أما الآن، عندما وضعت كرامتها إلى جانب الكوبيك فى الطبق، فقد تهللت . ويستطرد جريشا :

- ثلاثة وعشرون! سميون سميونيتش! تسعة!

- صرصار، صرصار! - تصيح سونيا وهى تشير إلى صرصار يجرى فوق المائدة - آى!

ويقول أليوشا بصوت غليظ :

- لا تقتليه، ربما عنده أولاد . .

وتتابع سونيا الصرصار بعينيهما وتفكر فى أولاده : لا بد أنهم صراصير صغيرة جدا!

ويواصل جريشا وهو يتعذب من فكرة أن أنيا قد بقيت لديها فقط خانتان شاغرتان :

- ثلاثة وأربعون! واحد! ستة!

وتصبح سونيا وهي تقلب عينيها بدلال وتقهقه :

- كسبت! أنا كسبت!

وتستطيل وجوه اللاعبين .

ويقول جريشا وهو ينظر إلى سونيا بحقد :

- فلنراجعها!

أخذ جريشا لنفسه حق القرار بحكم أنه أكبر الجميع وأذكاهم . وكل ما يريده ينفذونه . وأخذوا يراجعون أرقام سونيا بدقة ولمدة طويلة . ولأسفهم الشديد اتضح أنها لم تغش . ويبدأ دور جديد .

وتقول أنيا وكأما تخاطب نفسها :

- ماذا رأيت بالأمس! فيليب فيليبوفتش قلب جفنيه فأصبحت عيناه حمراوين ، مربعتين ، مثل عيون العفاريت .

فيقول جريشا :

- أنا أيضا رأيته . . ثمانية! وعندنا تلميذ يستطيع تحريك أذنيه . سبعة وعشرون!

ويرفع أندريه عينيه إلى جريشا متفكرا ثم يقول :

- وأنا أيضا أستطيع تحريك أذني . .

- إذن هيا حركها!

ويحرك أندريه عينيه وشفتيه وأصابعه ، ويخيل إليه أن أذنيه تتحركان .

ويدوى ضحك جماعى .

وتقول سونيا منتهدة :

- رجل سيئ فيليب فيليبوفتش هذا . دخل بالأمس غرفتنا ، وكنت بقميص النوم فقط . . وأحسست بعيب شديد !

وفجأة يصيح جريشا وهو يخطف النقود من الطبق :

- كسبت ! أنا كسبت ! راجعوا إذا أردتم !

ويرفع ابن الطاهية عينيه وقد علاه الشحوب ، ثم يهمس :

- يعنى أنا لن ألعب بعد .

- لماذا ؟

- لأنه . . لأنه لم يعد معى نقود .

فيقول جريشا :

- لا يمكن اللعب بدون نقود !

ولمزيد من التأكد يفتش أندريه فى جيوبه مرة أخرى . وعندما لا يجد شيئاً سوى فتات الخبز وقطعة قلم رصاص معضوضة ، تتقلص شفتاه وتطرف عيناه بعذاب . إنه يوشك على البكاء .

فتقول سونيا وهى لا تقوى على احتمال نظراته المعذبة :

- سأضع بذلك ! لكن لا بد أن تردها فيما بعد .

ويوضع الرهان ويستمر اللعب .

وتقول أنيا وهى تحملق بعينين واسعتين :

- يبدو أن أحدا يقرع الجرس .

يتوقف الجميع عن اللعب ويحدقون فى النافذة المظلمة بأفواه مفتوحة .  
ومن خلف الظلام تتراقص انعكاسات المصباح .

- لقد خيل إليك .

ويقول أندريه :

- الأجراس لا تدق ليلاً إلا فى المقابر . .

- ولماذا يدقون الأجراس هناك ؟

- لكى لا يتسلل قطاع الطرق إلى الكنيسة . فهم يخافون الرنين .

فتسأل سونيا :

- ولماذا يتسلل قطاع الطرق إلى الكنيسة ؟

- معروف لماذا . . لكى يقتلوا الحراس !

وتمر دقيقة صمت . ويتبادل الجميع النظرات ، ويتنفضون ، ثم يواصلون  
اللعب . ويكسب أندريه فى هذه المرة .

وفجأة يصيح اليوشا بصوت غليظ :

- لقد غش !

- كذاب ، أنا لم أغش !

ويمتقع أندريه وتقلص شفتاه ويخبط اليوشا على رأسه ! فتجحظ عينا  
اليوشا بغل ، ويقفز من مكانه ويرتكز على الطاولة بركبته ، وبدوره يصفع  
أندريه على خده ! ثم يوجه كل منهما إلى الآخر صفعة أخرى وينفجران  
بالبكاء . وسونيا ، التى لا تطيق مثل هذه المشاهد الرهيبة ، تنخرط أيضاً فى  
البكاء ، فتدوى غرفة الطعام بأصوات العويل المتعددة . ولا تظنوا أن اللعب  
قد انتهى بسبب ذلك . فلا تمر سوى خمس دقائق حتى يعودوا إلى الضحك



يتطلع جريشا بارتياح إلى فاسيا : أليس فى طلبه هذا مؤامرة؟ أليس فيه احتيال؟

ويقول قابضا على جيبه :

- لا أريد .

ويثور فاسيا ويغلى ، ويسبهم بالأغبياء وأصحاب الرؤوس الغليظة .

فتقول سونيا :

- فاسيا ، سأضع بذلك ! اجلس .

فيجلس التلميذ ويضع أمامه بطاقتين . وتبدأ أنيا فى إعلان الأعداد .

وفجأة يعلن جريشا بصوت منفعل :

- سقط منى كوبيك ! انتظروا !

وينزعون المصباح المعلق ويهبطون تحت الطاولة ليبحثوا عن الكوبيك .  
وتقع أيديهم على البصقات وقشر الجوز وتصطدم رؤوسهم . ولكنهم لا  
يعثرون على الكوبيك . ويعاودون البحث من جديد ، ويبحثون إلى أن  
ينتزع فاسيا المصباح من يدى جريشا ويضعه فى مكانه . ويواصل جريشا  
البحث فى الظلام .

وأخيرا يعثرون على الكوبيك ، فيجلس اللاعبون إلى الطاولة لمواصلة  
اللعب :

ويعلن أليوشا :

- سونيا نامت !

وضعت سونيا رأسها المجعد الخصلات على يديها وغابت فى نوم  
عذب هادئ عميق ، كأنما تنام منذ سباعة . نامت دون قصد ، عندما كان



الآخرون يبحثون عن الكوبيك .

فتقول لها أنيا وهى تسحبها من غرفة الطعام :

- هيا نامى على سرير ماما . هيا !

يقودونها جماعة . وبعد ما لا يزيد عن خمس دقائق يتحول سرير ماما إلى منظر طريف . سونيا نائمة . وبجوارها يشخر أليوشا . وينام جريشا وأنيا متوسدين أرجل سونيا وأليوشا . وأندريه ، ابن الطاهية ، تمدد هنا أيضا مع الآخرين . ومن حولهم تناثرت الكوييكات التى فقدت سلطانها عليهم حتى موعد اللعب القادم . تصبحون على خير !